

المدخل إلى ربيع فكري جزائري....

* آن الأوان لننصت لبعضنا *

بصديق زهرة

جامعة عبد الحميد بن باديس، جامعة مستغانم

الملخص:

إن الفلسفة اليوم أكثر من أي وقت مضى تتعرض لعدة هجمات وتحديات شككت في قيمتها والجدوى من تعاطيها، بعدما كانت الفلسفة الملكية المتوجة إزاء هذه المجادلة وهذا الزمن الذي طغت فيه العلوم التطبيقية والتقنية، ونحن في العشرية الثانية من الألفية الثالثة نعيش ونحاول أن نعيش في أمن واستقرار، فترة من أكثر الفترات تقدما وتطورا ولا ندري إن كان هذا التطور نعمة أم نقمة؟ هذه التقنية التي وجدها الإنسان سمينة على عسل، وربما الإفراط في الحرية لهذه التقنية عاد إلينا بالسلب لعدم حسن استعمالها من جهة، ومن جهة أخرى تحيل إلى فكر جاهز واجترار فكري، مثال ذلك شبكة التواصل الاجتماعي الفايسبوك. الكلمات المفتاحية: الفكر؛ الفايسبوك؛ الجزائر.

إن الفلسفة اليوم أكثر من أي وقت مضى تتعرض لعدة هجمات وتحديات شككت في قيمتها والجدوى من تعاطيها، بعدما كانت الفلسفة الملكية المتوجة إزاء هذه المجادلة وهذا الزمن الذي طغت فيه العلوم التطبيقية والتقنية، ونحن في العشرية الثانية من الألفية الثالثة نعيش ونحاول أن نعيش في أمن واستقرار، فترة من أكثر الفترات تقدما وتطورا ولا ندري إن كان هذا التطور نعمة أم نقمة؟ هذه التقنية التي وجدها الإنسان سمّنة على غسل، وربما الإفراط في الحرية لهذه التقنية عاد إلينا بالسلب لعدم حسن استعمالها من جهة، ومن جهة أخرى تحيل إلى فكر جاهز واجترار فكري، مثال ذلك شبكة التواصل الاجتماعي الفايسبوك؛ فمتى يكون المستخدم الفايسبوكي مرضي ومتى يكون معرفي ثقافي؟ كذلك لما توفره هذه التقنية من منافع وامتيازات تشمل أكثر أطوار الحياة والعيش داخل المجتمعات، في حين آخر تغوص بهم في عالم التفوق والخمول والدوغمائية، فقد أصبح يعاب على الفلسفة عدم يقينيتها وأنها ضرب من ضروب الثرثرة والكلام الفارغ أو تبحث في الميتافيزيقا السيئة السمعة بتعبير فولتير.

فالتفلسف اتخذ مجموعة من المفاهيم منها: القلق - الدهشة - الشك - السؤال.. هذه المفاهيم التي تعتبر أصل كل المعارف والتي اكتشفها العقل البشري، من حين لآخر تتغير هذه المفاهيم لتصبح أكثر فعالية وحدائية معاصرة. فالفكر الفلسفي ارتباطه بالواقع يكون نتيجة جهود حاملي المعاناة الفلسفية.

فما مكانة فعل التفلسف أمام تحديات الفكر العالمي المعاصر وفي الجزائر بالخصوص؟ كيف يمكننا تصحيح هذه الرؤية في زمن انقلبت فيه المفاهيم وكثرة فيه الرقميات؟ هل الفلسفة عاجزة عن الخروج الى الفضاء العمومي؟ .

هل بإمكان الفلسفة والفكر الفلسفي أن يستعيد دوره التنويري مثلما كان عليه في السابق؟

يجب على الفكر الفلسفي في الجزائر أن يرسم لنفسه خريطة جغرافية واضحة المعالم، وأن يتخذ مواقع متعددة في الأوساط الاجتماعية، والقصد من ذلك الجمع بين النظري والتطبيقي وإخراج الفلسفة إلى الواقع الاجتماعي الراهن أو ما يسمى بالبراكسيس praxise ، والإعلان على كل المناهل العلمية، فالفلسفة يجب أن تتسم بمبدأ التخاصص (اشتراك التخصصات) والبحث في الراهني، فالواقع المعاش يهمل أهمية ودور الفلسفة في حياة الإنسان دون وعي، ولأن حياة الانسان تعتمد في كل لحظة على السؤال وبالتالي التفلسف، لذا وجب القضاء على فكرة عدم اللامبالاة بالفلسفة؛ فكيف يمكن للفلسفة أن تكون بنت زمنها وأن عليها التفكير في الواقع الفعلي؟ . خاصة بعد ظهور موجة فكرية تنادي بالطرح القيامي (بلغة الفلاسفة التحليليين) الذي يحيل إلى نهاية الفلسفة.

هل الفلسفة في الجزائر مازالت بعيدة عن المطلوب؟ وهل واقع الفلسفة في الجزائر مجرد نظريات في برجها العاجي وبحوث في رفوف

المخابر أكلها الغبار أم نزلت وحاكت الواقع؟ أم هي محصورة على
النخبة والمتخصصين فيها وفقط واللذين يعدون على الأصابع (جدران
الجامعة)؟

- وهل صحيح أن الفلسفة فقدت هيبتها بعدما كانت الملكة
المنتوجة في وقت مضى؟ أو بتعبير آخر هل تراجعت الفلسفة عن مكانتها
بما يسمح البعض الإعلان عن موتها؟

تاريخ العرب الحديث والمعاصر عبارة عن مجموعة من مشاريع وتيارات
وسجلات متباينة الأبعاد منبثقة عن مسائل تاريخية قوامها كيف ننجز التقدم
ونسهم بالجهود الانساني لبناء المستقبل. من جملة الأسباب التي جعلت الفكر
العربي يمر بوضعية غير عادية، أنه كثيرا ما يتكلم لغة تفتقر إلى التأسيس
النقدي، سواء على مستوى المفهوم أو على مستوى التطلعات.¹

إن الخطاب العربي المعاصر قليلا ما ينطلق من تحليل الواقع، وبعبارة
أخرى فالأسئلة الكبيرة التي نطرحها كثيرا ما تملئها علينا مطامحنا، ورغباتنا
أكثر مما يملئ الواقع والممكن. ولذلك، فعندما نقول أن الوضعية العربية الحالية
غير عادية فنحن نصدر الحكم في هذا الحكم لا من الواقع، بل نحن نريد أن
نقول: إن الوضعية العربية الراهنة لا تلي مطامحنا أي لم نتمكن بعد من إنجاز
نخبة كاملة².

¹ فرحان صالح، هموم الثقافة العربية، دار الحداثة، بيروت- لبنان، ط1، 1988، ص 6

² المرجع السابق، ص 8.

إن الانطلاق في طرح السؤال من راهنية الحال والمطامح الى سؤال الآمال هو عمل مشروع، فهو يعكس الحيوية والطموح، ولكنه مخوف بالمخاطرة حينما لا يكون مصحوبا بنظرة نقدية واعية وصحية.

إن الزمن الذي نعيش فيه اليوم هو زمن مكثف متداخل غالب عليه الطابع التقني والتكنولوجي، زمن موجي متداخل، فالذي يقلقنا ليس هو بقاء تقدمنا وإنما هو تقدم الآخر من الضفة الأخرى.

سيظل هاجس التأخر الحضاري يلاحقنا فهو المعبر عن لحظة تفكيرنا، حيث يبقى الملاذ الآمن بزوغ فكرنا نحو المستقبل لنعيد تركيب المعادلة الثلاثية: "المستقبل - الماضي - الحاضر" في محاولة تحقيق طفرة مثلما حققها الآخر الحضاري، إزاء الشعور بعصاب مرضي من حيث تعريف العصاب الذي صاغه فليب ريف rif Philip: "يعني عجز الإنسان عن الإفلات من قبضة الماضي" أي عقدة التشبث بالماضي ذات الطبيعة النكوصية والشعور بحالة مأسوية وانفصامية ينتمي فيها الأنا إلى الماضي، بينما ينتمي فيها الحاضر إلى الآخر، حيث أن الأنا العربي يجد نفسه يتحدد بماض يريد تجاوزه وبحاضر لم يعد له، الأمر الذي يجعله مذهولا إزاء مستقبل مجهول.

في الحقيقة إننا أمام صعوبة كبيرة في اكتشاف قواعد اللعبة المعقدة، التي حكمت التأثير المتبادل بين العوامل الداخلية والخارجية، لما آلت إليه الحالة العربية إن التجربة الواقعية للمشروع العربي قد أثبتت، خاصة بعد هزيمة ونكسة حزيران/يونيو 1967، أن هناك أزمة فعلية في بنية هذا المشروع.

يقول راسل: " لكي تفهم عصرا أو أمة من الأمم ينبغي أن تفهم

فلسفتها"، من هنا إذا كان للفلسفة مستقبل فإن وعيها بتاريخها أمر ضروري، ويجب أن يظهر في مختلف مجالاتها من جهة تتبعها ووعيها بالجديد والإشكالي في العصر والمرحلة التي نعيش فيها، فعلى مجالات الفلسفة إذا أن تساهم في معالجة وحل المشكلات المطروحة على الإنسان، ومهما اختلف الفلاسفة في تقويم حاضر ومستقبل الفلسفة، إلا أنهم على قناعة تامة بأن مستقبل الفلسفة يكمن في أسئلتها.

أخيرا نقول أن مهمة إنجاز فلسفة عربية عمل كبير لا بد أن تشتغل عليه نخب من المفكرين والمثقفين، من جهة أخرى أن مستقبل الفلسفة هو " فلسفة العقل"، فلو حاولنا إسكات العقل فمعنى ذلك أن نقول للفلسفة وداعا. إن اهتمام الإنسان بدراسة مستقبله ومحاولة فهمه ارتبط بشكل واضح بالتحولات الكبرى والأزمات التي عاشها الإنسان في مجتمعه، ولقد شهد النصف الأخير من القرن 20 اهتماما واضحا أحدث تطورا كيميا وكيفيا في الدراسات المستقبلية، ولقد بدا الاهتمام بالدراسات المستقبلية في منتصف الثلاثينيات إلى منتصف الأربعينيات لهذا القرن، وظهر هذا في صورة محاولة صياغة جديدة للدراسات المستقبلية وصياغة ألفاظ ومعايير جديدة، حيث كان عام 1943 ظهور مصطلح أطلق عليه: " علم المستقبل" *، وأكد بعض الكتاب أن معرفة المستقبل تكون نافعة لأنها تساعد في تلاقي أخطاء الماضي

ومشكلات الحاضر وتنقية المستقبل من كثير من المعوقات التي تحاصر
إمكانات الإنسانية وإبداعاتها³.

إن دراسات المستقبل تعني البحث عن بدائل للأجل الطويل، مستهدفة
خلق الوعي حول تحديات المستقبل، حيث أن مثل هذه الدراسات لها أهمية
كبيرة في تطور الفكر النظري والإيديولوجي، وفهم الحياة ومحدداتها، وفي
صياغة الأهداف والغايات⁴. فالتفكير في المستقبل يعتمد على أسس فكرية
ونظرية ومنهجية⁵.

إننا بطبيعة الحال لا نرى الأمور من منظار كارثي وثمة فارق كبير بين أن
نلاحظ أننا لا نتقدم وبين أن نقرر أننا لا نستطيع التقدم، فذلك موقف
نقدي، وهذا موقف تشاؤمي، وفي جملة الأسباب التي تحملنا على رفض

*علم المستقبل: كانت البداية العلمية لدراسة المستقبل في أوائل القرن 20 على يد العالم الاجتماعي:
كولم جلفلن الذي كان أول من اشتق اسما لهذا العلم وهو ملتولوجي وهي كلمة يونانية تعني "علم
المستقبل". وهو علم ينتمي إلى دائرة العلوم الاجتماعية التي تدور حول الانسان وعالمه ومجتمعه، وهو
تخصص علمي جديد يحاول فيه الباحث تكوين صور مستقبلية متنوعة محتملة الحدوث وفي ذات
الوقت يهتم بدراسة المتغيرات التي يمكن أن تؤدي إلى احتمال تحقيق هذه الصور المستقبلية، وهذا العلم
يهدف إلى رسم صورة تقريرية محتملة للمستقبل قدر المستطاع. طارق عبد الرؤوف عامر، الدراسات
المستقبلية، مفهومها- أساليبها- أهدافها، دار السحاب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2006، ص
ص 23، 28.

³ طارق عبد الرؤوف عامر، الدراسات المستقبلية، مفهومها- أساليبها- أهدافها، دار السحاب للنشر
والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2006، ص 16.

⁴ المرجع السابق، ص 17.

⁵ المرجع نفسه، ص 29.

التشاؤم أنه بطبيعة الحال موقف سلفي يصادر على أن الحاضر مهما يكن سيئا، فإن المستقبل لابد أن يكون حتما أكثر سوءا منه، ولكن المعادلة تبقى على كل حال صعب إذ كيف نستطيع أن نكون تقدميين، فنحافظ على إيماننا بالمستقبل على الرغم من قانون التدهور الذي يحكم حركة الحاضر، بدون أن نسقط في الوقت نفسه في الطوباوية؟ وبانتظار جوانب تتمخض عنه حركة الوعي الاجتماعي والثقافي نفسه⁶.

إن النقد يظل هو الموقف الممكن والبديل الوحيد أمام المثقف التقدمي عن لاعقلانية التفاؤل الطوباوي أو التشائم السلفي، وربما كان هذا بالتحديد الدور التاريخي الذي ينتظر الأنتلجنسيا العربية في المستقبل المنظور: فعوضا عن أنتلجنسيا مدّاحة كما كانت بالأمس، وعن أنتلجنسيا بكّاءة كما تميل اليوم، إلى أن تكون، يمكن أن تكون أنتلجنسيا الغد نقّادة، وليس للتقدمية في الوقت الحاضر معنى آخر⁷.

إن في فكرنا الفلسفي الجزائري والعربي عامة يطرح مسائل متكررة مستندة على الثنائيات، وخاصة أنه لا يوجد طرح غير المسألة التراثية، وكأنه لا همّ لنا إلاّ التراث، فالعمل الإبداعي في الفلسفة يكاد يكون منعدما. فقد أرجع الدكتور "عبد الرحمن بوقاف" ظاهرة عجز الفلسفة عن الخروج إلى الفضاء

⁶ جورج طرابيشي، مفهوم التقدّم، من عبادة الماضي إلى الموقف السحري من المستقبل، مجلة الوحدة، مجلة فكرية ثقافية شهرية، تصدر عن المجلس القومي للثقافة العربية، محور العدد: مفهوم التقدّم، ص 57.

⁷ المرجع السابق، ص 57.

العمومي، لمسألة غياب النص المرجع .فالعالم العربي يعيش على وقع النص التراثي. وهذا الأخير ليس محل إجماع بل محل محاكمة وبالتالي فهو لا يصلح لأن يكون نصا منجزا.

الكثير من يعتبر أن الفلسفة والتفلسف أصبحا غير مرتبطين بالواقع، وأن الفلسفة هنا تعيش بعيدا عن هموم الناس، وأنها عاجزة عن الخروج إلى الفضاء العمومي، فالعالم العربي على العموم يعيش على وقع النص التراثي (قضية الأصالة والمعاصرة)، وفي هذا الصدد يطرح الدكتور **بومدين بوزيد*** إشكالية مهمة وهي: هل الفكر العربي المعاصر لا يزال يراوح مكانه باعاداته لطرح إشكاليات أصبحت في حكم المتجاوز؟ هل استطاع أن يطرق قضايا حيوية مستقلة تمس قضايا الدولة والمواطن والطبيعة بشكل إبداعي خال من التقليد والصياغات التجميعية التليفقية؟

لماذا هذه الإنتكاسات في ميزة الفكر العربي المعاصر رغم المجهودات النظرية التي أبدعها مفكرون عرب منذ بداية ما يسمى بالنهضة العربية؟ يقول الدكتور **بومدين بوزيد**: " قد تكون أيضا مرجعيات غربية من مناهج وطرق تتحول إلى شرح وتبسيط وتكرار عند مفكرينا اليوم، وخصوصا عند بعض من يدعون للحدثة والتجديد، فلمتن هنا الذي يشكل سلطة على العقل قد يكون تراثيا وقد يكون غريبا ومعاصرا لنا ⁸.

8 بومدين بوزيد، التراث ومجتمعات المعرفة، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، لبنان/الجزائر، ط1، 2009، ص 32.

نريد أن نبعد عن انظارنا ونحن بصدد البحث في الفكر العربي* كل منقول عن لغة أجنبية، لأنه ليس فكرا عربيا، وكل قديم لأنه ليس فكرا معاصرا، سنرى بعد ذلك ماذا بقي بين أيدينا مما أنتجناه إنتاجا مبتكرا وأصيلا، أي نقوم بعملية الغربة والفرز لتظهر عملية الإنكشاف؛ فأين عسانا واجدون هذا الفكر الذي نريد أن نضعه موضع البحث والتحليل؟ إن استثمار التطورات الحاصلة في مجال المعرفة الإنسانية لن يؤتى أكله إلا إذا كانت لنا القدرة على الإجهاد بتبنيها واستلهاها إبداعنا، التي حصلت في ثقافتنا العربية الاسلامية، التبييء ليس معناه التلفيق، ومحاولة فقط إيجاد اللفظ العربي المقابل للمفهوم الغربي، ولكنه إبداع يتم أثناء العملية التفكيرية حول الظاهرة المراد دراستها، يقول بومدين بوزيد " للأسف وضعية العلوم الإنسانية في الجامعات العربية سيئة، ففي الجزائر مثلا يواجه الطلبة الأقل معدلات نحو شعب هذه العلوم، كما أن الطلبة الفاشلين في الشعب العلمية يلجأون إلى الفلسفة أو علم الاجتماع أو علم النفس من أجل إكمال دراستهم الجامعية، والاستفادة من المنحة الجامعية قبل أن يستقبلهم الشارع كبطالين، عن معاهد هذه العلوم تحولت إلى مدرجات للطلبة المنتظرين البطالين مسبقا، كما أن مناقشات الرسائل الجامعية في المعاهد لا يتم بشكل

*العرب يحاولون مواجهة المصير بتفكير مبهم ، يقوم على مفاهيم غير دقيقة وعلى منهج غير واضح، فلن يصلوا إلى فهم مصيرهم مادامت تعابيرهم تقريبية، المشكلة في المفهوم مازال لم يقعد بعد هل هو فكر عربي أم فلسفة عربية.

جدي بل أصبحت الماجستير أو الدكتوراه كمذكرة ليسانس⁹. وأصبح ما يسمى بظاهرة البلاجيا (الكوي كولي) وترجيح الإقصاء.

يقول بومدين بوزيد: "علينا أن نسير نحو شيء يسمى: مجتمع المعرفة"، أي كيف ننجز أو كيف يكون لنا ميلاد مجتمع للمعرفة تقوم فيه المعرفة على أسس جديدة، مجتمع المعرفة يقتضي من جهة أن الثروات السابقة تغير شكلها ومضمونها، أي أن الثروة المعرفية والمعلوماتية هي الثروة الحقيقية¹⁰.

وبحسب الآخر تحدث بن مزيان بن شرقي* عن عنصرية الحداثة الغربية، واستشهد بهيجل الذي كان يعتقد أن الأفارقة ليسوا أهل للثقافة، وأوضح أن فكرة التقدم في الغرب قامت على الإقصاء.

تتطرق مقالات** بن شرقي إلى مواضيع مختلفة بصيغة فكرية تأملية، قدم فيها نظرة حول عدد من القضايا التي تشغل عددا من الجزائريين و العرب، ومنها مسائل: التفتح - الحوار - العدالة - الكتابة - الحوار - المصالحة... وهو يتناول هذه القضايا، ويسعى من خلالها إلى تحديد وتوضيح

9 بومدين بوزيد، التراث ومجتمعات المعرفة، مرجع سابق، ص 17.

¹⁰ المرجع السابق، ص 172.

*بن شرقي بن مزيان: أستاذ بجامعة وهران، له عدة كتب من بينها: التاريخ والمصير، التاريخ وكونية الاختلاف، دروس في فلسفة التاريخ، مجموعة مقالات: الفلسفة والفضاء العمومي.

** حوالي 19 مقالة منشورة في يومية "الخبر الجزائرية"، الفلسفة والفضاء العمومي - التحديد والتوضيح.

بعض المفاهيم التي يكثر تداولها في الخطاب اليومي ويعتريها اللبس، بعدما أن لاحظ من خلال استماعه إلى حوارات الناس ونقاشاتهم اليومية، استعمال هذه المصطلحات من دون تحديد أو إدراك معانيها الحقيقية، واعتبر أن الفلسفة اليوم تهتم أكثر بتحليل الخطاب بغية خلق أنماط من التواصل مقتفيا أثر الأستاذ زكي نجيب محمود في تصحيح الأنماط التداولية للغة اليومية، ويقول بن شرقي: "أن الوضعية اليوم بحاجة إلى مراجعة في فكرنا العربي". ويرى بن شرقي أن للفلسفة استعمالات وأدوار يجب أن تقوم بها، ومنها تحديد وتوضيح المفاهيم والنقد والتشخيص وهو في صلب العمل الفلسفي، كما أن الفلسفة حق وواجب على كل إنسان مهما كانت صفته وموطنه وجنسه ولغته، وقال بن شرقي أن هذه المقالات تساهم في تحرير العمل الفلسفي من رقابته النسقية والأكاديمية ليخرج إلى أنماط الإستعمال اليومية، وحاول تبسيط مختلف المفاهيم التي تناولها لتكون في متناول كل قارئ انطلاقا من مبدأ " نزول الفلسفة من أبراجها العاجية إلى الشارع". يقول بن شرقي في الواجهة الخلفية لكتاب " التاريخ والمصير":

"إن تفكيك الحلم العربي هو ما أردت تسميته هنا بالتاريخ والمصير - قراءات في الفكر العربي المعاصر، وكنت أتمنى أن أسميها الفلسفة العربية المعاصرة، ولكنني خفت أن القارئ العربي لا ينتبه إلى ما أريد أن أطرحه، ويتهمني مرة أخرى بالحلم.. الوهم والجنون... أنتم اللذين ستشاركونني في هذا

الحلم، نحن لسنا بحاجة إلى تبيان حدود وعينا والكشف عن أوهامنا التي طالما شكلت وعيا زائفا لدينا، حين كنا نظن أنها الحقيقة¹¹.

هل من ضرورة لكن نتفلسف نحن العرب اليوم؟

يجب أن نفهم ما هو هدف شعب أو أمة ما، إذا كان يهدف أو يتمثل في أن نعيش فقط، فلا ضرورة هنا للتفلسف، بما أننا سنستهلك أفكار غيرنا، أما إذا أردنا أن نكون فاعلين في عالمنا هذا، فعلينا أن نتعلم العلوم ونسيطر على التكنولوجيا ونستعملها أحسن استعمال، ولتكون فيها لنا إضافات وإبداعات ويستدعي ذلك أن نرتقي بالفكر إلى أعلى مستواه، أي التفلسف الذي يفيد العقل.

أخيرا نقول أن مهمة إنجاز فلسفة عربية عمل كبير لا بد أن تشتغل عليه نخب من المفكرين والمتقنين، من جهة أخرى أن مستقبل الفلسفة هو " فلسفة العقل"، فلو حاولنا إسكات العقل فمعنى ذلك أن نقول للفلسفة وداعا. سيكون أماننا اليوم و مستقبلا قضايا فكرية تحتاج إلى جهد إبداعي عربي متميز يتجاوز الشرح والإجتار الفكري.

¹¹ بن شرقي بن مزيان، التاريخ والمصير - قراءات في الفكر العربي المعاصر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران - الجزائر، ط1، 2001.

***بوعرفة عبد القادر** : ولد 1967 بالعين الصفراء رئيس قسم الفلسفة. أستاذ تعليم العالي ، جامعة وهران، من بين مؤلفاته: الإنسان المستقبلي في فكر مالك بن نبي، أعلام الفكر والتصوف بالجزائر، الحضارة ومكر التاريخ، مقدمات في السياسة المدنية...
¹¹ فرحان صالح، المرجع السابق، ص 8.

إن الخطاب العربي المعاصر قليلا ما ينطلق من تحليل الواقع، وبعبارة أخرى فالأسئلة الكبيرة التي نطرحها كثيرا ما تملئها علينا مطامحنا، ورغباتنا أكثر مما يملئها الواقع والممكن. ولذلك، فعندما نقول أن الوضعية العربية الحالية غير عادية فنحن نصدر الحكم في هذا الحكم لا من الواقع، بل نحن نريد أن نقول: إن الوضعية العربية الراهنة لا تلبي مطامحنا أي لم نتمكن بعد من إنجاز نهضة كاملة.

على الفلسفة أن تتسلح بالنقد الذي يمثل ظاهرة صحية وضرورية للفكر الجاد، الفكر البناء وليس الهدام،، فالنقد يمثل الحركة لا السكون. فنحن نعاني من جفاف فكري، ومعالجته تكون عن طريق فتح النوافذ أمام النقد، فنحن بأمس الحاجة إلى الجانب النقدي، وعلى الذات أن تتجرأ على النقد بكل أشكاله ومعانيه.

إن المرتكز الفلسفي الذي يستمد منه صاحب المشروع الأدوات التحليلية في استنطاق الظاهرة التراثية، قد تكون هناك أسباب عدة في توجه الفكر الذي هو أعلى درجة من الباحث الذي قد يتقلص عمله في نطاق أكاديمي بحث، وقد يكون من بين هذه الأسباب أن المرجعية النظرية وهي عادة إنجاز غربي أثبت نجاحه في الفلسفة المعاصرة، تنتمي إلى عصر رائد في مجالات علمية وتكنولوجية واقتصادية... ومن ثم فعلى الفهم الجيد لواقعنا أن يعاصر

زمن المعاصرة إذا أراد اللّحاق بها¹². فهؤلاء فهموا أن سرّ الحداثة في أسبابها فأتقنوها فصاروا قادرين على ربح المعركة، وأولئك تصوّروا سرّها في نتائجها فبقوا مستهلكين في أدنى المنتجات فضلا عن العلوم.¹³

لكن المشكلة أننا نقوم باستنساخ الموضوعات من الغرب داخل الثقافة العربية، ليس هو الغرب الحالي وإنما هو غرب القرون الفارطة، لذلك تراهم يحاولون نسخ الوضع الغربي ليقلدوه بحثا عن تحقيق ما هو محقق في الغرب دون معرفة شروطه الفعلية، أي نقل الوضع الغربي لتحقيق مثيله عندنا فهنا نقصد بذلك : نحن والفكر المستورد.

لقد كان الأمل في أن تؤدي الجامعة دورها الطبيعي في إنتاج النخب الفكرية التي يمكن أن تبني للمجتمع مشروعا فكريا، ولكن هذا ما لم يحدث، لماذا؟ إذا كنا نسلم بأن النخب الثقافية هي وحدها المؤهلة لإنتاج المشاريع، فإن الجامعة هي التي تنتج هذه النخب، لكن الجامعة لم تؤدي دورها الكامل في المشهد الثقافي، فلقد كانت دائما وما تزال تعاني ضعفا في قدراتها العلمية، وهذا لا يعود إلى سبب سياسي، بل إلى انطلاقتها كذلك، وإلى سياسة جزأة التعليم التي بدأ انتهاجها في السبعينات والتي سمحت أحيانا بوجود مدرسين لا يحملون حتى الماجستير ، لقد اضطر القائمون على التعليم العالي

¹² عبد الرحمن بوقاف، غياب المشاريع الفكرية في الجزائر، الفلسفة في الوطن العربي في مئة عام، المرجع السابق، ص 365.

¹³ أبو يعرب المرزوقي، طيب تيزني، آفاق فلسفة عربية معاصرة، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط1، 2001، ص 124.

الى ارسال بعثات طلابية الى الخارج خدمة للأعمار العلمي للجامعة، لكن المشكلة في أن كثيرا من هؤلاء لا يعودون، ثم إن أغلبهم لا يصلون الى مستوى الدكتوراه.¹⁴

إن الجامعة لم تحقق بعد إنتاج المشاريع الفكرية، ولم توفر فضاء التجاوز، ونحن هنا بصدد الحديث عن ثنائية "الحضور والغياب"، حضور الجانب النظري والاجترار الفكري أحيانا وغياب المشروع. ونظر ألكون الجامعة الجزائرية منبين أهم مؤسسات التعليم في المجتمع، والتيتسعى إلى تحقيق التنمية وتفعيل البحث العلمي من خل التطوير وتعديل البرامج والمناهج التعليمية التي تتماشى ومتطلبات الفرد، واحتياجات الواقع الآني والمستقبل يم عال تمسك بالقيم من أنماط سلوكية سواءً للأستاذ والطالب وتزويدهم بخبرات التي تمكن كليهما من خوض غمار التغيرات الاجتماعية اللاحقة بهم.¹⁵

إذ أبدو العلاقة الجدلية واضحة بين الجامعة والمجتمع على أساس أن تطور المجتمع وظهور الحاجة المتجددة فيه توجب آليات لتحقيق برامج تعليمية في المنظمات والمؤسسات الفاعلة في كافة القطاعات المجتمعية بدون

¹⁴ المرجع السابق، ص 375.

¹⁵ بعلي محمد، الفضاء الجامعي بين التأصيل والتحديث، مجلة الحوار الثقافي، عدد خريف وشتاء 2013، تصدر عن مخبر حوار الحضارات، التنوع الثقافي وفلسفة السلم، جامعة مستغانم، الجزائر، ص 21.

استثناء لاسيما الجامعة كفضاء بحث يتسعى إلى الموازنة بين التراث الحضاري والمنظور المستقبلي لأجل الحفاظ على القيم والموروث الثقافي المميز¹⁶. فالجامعة تقوم بدور أساسي في تنمية المجتمع من مختلف الجوانب سواء أكانت سياسية، اجتماعية، ثقافية تربوية... فهي تقدم خدمة لكافة المجتمعات من خلال طرحها ومعالجة الاشكالات.

ليس الخطاب الفلسفي هو الخطاب الجامعي الأكاديمي أو خطاب المؤسسة الفلسفية، بل هو كذلك ذلك الخطاب القائم خارج المؤسسة الرسمية والذي ينتشر في الكتابات السياسية والتاريخية والأدبية والصحفية، وفي العلوم الانسانية وخاصة التاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس والأدب.¹⁷ من حيث الكتابة نجد غلبة الثقافي والفكري والإيديولوجي والسياسي على الفلسفي والعلمي، ومن هنا نجد انتشار بعض الدراسات التي تنتمي إلى مراحل سياسية وصفت في حينها بالفلسفية ولا تعدو أن تكون اليوم أكثر من كتابات سياسية وحزبية لا تحمل أي صبغة فلسفية، كتابات انتهت بانتهااء السلط المساندة لها، ولعلنا لا نبالغ إن قلنا أن الخلل الكبير في التكوين والدراسة الفلسفية، جاءنا من تلك الكتابات التي لم تخلص للبحث الفلسفي بقدر اخلاصها للسياسي والديني، نقول أن تلك الكتابات لم تعي أهمية التأسيس للخطاب الفلسفي في الجزائر كأ نموذج، وإذا أردنا الاحتكام

¹⁶ المرجع نفسه، ص 21.

¹⁷ زاواي بغورة، الخطاب الفلسفي في الجزائر، بين النقد والتأسيس، المرجع السابق، ص 202.

إلى التاريخ نقول أنها كتابات عجزت عن الإمساك بالتحليل الفلسفي، لذلك لم تعد اليوم تنتمي إلى التراث.¹⁸

يرى مالينوفسكي: "أن أحسن وصف لأية ثقافة يجب أن يقوم على معرفة نظمها الاجتماعية وتحليل هذه النظم التي تتألف فيها هذه الثقافة".¹⁹ وكما يقول محمود امين: "ليست مجرد أزمة مفروضة من الخارج وإنما هي أزمة البنى والهيكل الداخلية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية".²⁰ نحن لسنا عاجزين وإنما نحس بالعجز في بواطننا.

المشكلة بقيت في طريقة التفكير والمنحى الصحيح الذي نفكر به، فأزمة الفكر لا تنفصل عن أزمة المجتمع، لأن الفكر يتشكّل وفق معطيات الواقع المعاش (الفضاء العمومي)، فالفكر هو انعكاس للواقع. فالحديث عن الثقافة الجزائرية بالخصوص والعرب على العموم هو حتما الحديث عن النخبة المثقفة، فالتخلف الذي نشكو منه يقتضي أن يكون للنخبة المثقفة دور واضح وفعال في تسيير شؤونها، والمشاركة في تحديد مصيرها، لكن هناك بعض النخب تضطر إلى الهجرة الخارجية.

¹⁸ المرجع السابق، ص 206.

¹⁹ عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة- المفاهيم والإشكاليات... من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، ط1، 2006، ص91.

²⁰ علجية يموتن، الأزمة في الخطاب العربي المعاصر، مجلة الحوار الثقافي، عدد خريف وشتاء 2013، تصدر عن مخبر حوار الحضارات، والتنوع الثقافي وفلسفة السلم، جامعة مستغانم، الجزائر، ص 102.

إن واقع الكتاب اليوم في الوطن العربي لا يختلف عن واقع أسلافهم، فإنهم يعيشون ظروفًا صعبة، تحد من طاقاتهم الإبداعية قد يلجأ بعضهم إلى الصمت خوفاً من البطش، وقد يهاجر البعض الآخر إلى أوروبا أو أمريكا الشمالية بحثاً عن أجواء ملائمة للتعبير الحر، ولكن الأغلبية الساحقة تبقى صامدة وتنتج أدبا وفكرا ذا مستوى علمي وتعيش واقعا متدهورا على كل المستويات.²¹ وفي ظل هذه الثقافة الاستهلاكية أصبح الرجوع إلى مسائل التراث في شكله الأكثر ظلامية دون إنتاج جديد وإبداع.. فالإبداع في الفكر الفلسفي هو إبداع في تحليل الكون والعالم ومواقف الحياة الإنسانية. والمبدع لديه روح المخاطرة والرغبة في العمل.

إن لم ترتبط الكتابة بالحرية تسقط عنها الإبداعية، وتفقد بذلك إحدى خصائصها، غير أن الإشكالية مرتبطة أساسا بالكاتب في حد ذاته، وبتكوينه الثقافي والنفسي، وبقدرته على التعبير والإنفلات من كل القيود، والطرح الأكثر واقعية هو مدى ما يشعر به الكاتب من حرية، فالحرية بهذا المعنى ليست شيئا خارجا عن الذات، نستعيره عند الحاجة، بقدر ما هي جوهر هذه الذات الكاتبة.²² فغياب الحرية عن المجتمع العربي يعني ذلك بقاء الأمة على حالها خامدة وجامدة، ويعني ذلك حالة التراجع الحضاري للمجتمع

²¹ المرجع السابق، ص 09.

²² عادل صياد، الحرية وإبداعية الكتابة، مجلة الثقافة، تصدر عن المكتبة الوطنية الجزائرية، العددان

03-04، 2004، ص 17.

العربي في تدهور مستمر، فغياب عنصر الحرية معناه غياب قدرة الإنسان على صنع حضارته ومستقبله.

إن الغريب في الكتابة الفلسفية أننا نجد مفكر يحتبأ في حياة المذاهب الفلسفية الكبرى، نجده يتحدث بلسان الآخر، ويقول ما قاله الآخر فلا ينسب لنفسه شيئاً، كما قال فلان أو مفكر ما، إذا ماذا تقول أنت؟. على الكاتب أن يتحلى بالجرأة في الكتابة ليس تعصبا لأفكار ما دون براهين علمية وأسباب منطقية، يجب على الكاتب أن يتحلى بالهدوء والاعتدال بعيداً أن التعصب والتزمت، وجراته في عرض الأفكار التي يدافع عنها ويتبنها ويناقشها، مع الاعتراف بآراء الآخرين.

لا توجد لدينا جرأة في الكتابة لذلك ترانا ننتج فلسفة متحفظة وخائفة لا تريد أن تواجه وتكسر الطابوهات. فجلنا يعلم مخاطر الكتابة وبخاصة حينما يتعلق الأمر بالممنوع والمحرم، سواء في المجال السياسي أو العقيدي، كذلك الذي لديه صلة بالمواضيع الدينية خاصة، فالكثير تراوده الشجاعة على الكتابة في المواضيع المسكوت عنها واللامفكر فيها، فهنا نجد أن المفكر الغربي كسر هذه الطابوهات عن طريق استراتيجية التحليل النقدي و تصحيح الأخطاء.

إن الكلام عن الفضاء الثقافي في الجزائر يقودنا مباشرة إلى تفكير العلائق بين المثقف/ المفكر والفضاء الثقافي الذي يشكل موضوع اهتمامه، وكذا المسافة التي بينهما، أي بين الذات المثقفة وموضع/ فضاء ثقافتها، وما

نخلص إليه مبدئيا من وجهة نظرنا النقدية الفلسفية هو أنه لا الذات المثقفة ولا الفضاء الثقافي الذي أنتجته في الجزائر قد استطاعا أن يحققا كينونته "نا" التاريخية بما هي المؤجل الذي نستشرفه في أفق الثقافي، وذلك للسبب الآتي: إن الذات المثقفة /الجزائرية قد أعفت نفسها من مهمة صناعة التاريخ، لأنها أحالت نفسها إلى لحظة تاريخية تكاد أو تقترب من إعدام هويتها وكينونتها، وهي بالضبط اللحظة التاريخية الماضية التي أضحت تتحكم في زمام المستقبل الثقافي الذي لم يحزن زمانيا بعد، ونقصد بالضبط الحدث الثوري/ الاستقلال السياسي، وذلك لأن ما ندعوه مثقف جزائري لم يفكر البتة في ما يعنيه التفكير خارج التاريخ الفعلي الزمني المنتهي، إن ثقافة المستقبل بما هو المستشرف الذي نكونه لا يمكن تفكيرها إلا من خلال فتح أفق/ فضاء لا زماني للثقافة، إن فضاء الثقافة يأتيها من المستقبل²³.

حرية الفكر المأمولة في الجزائر هي ذاتها يمكن أن تصنع فضاء ثقافيا جزائريا لا يتخرج من ذاته ولا يشعر بالدونية ولا بالوهن النفسي والاجتماعي المصطنع /أو/ المفروض قصرا وتعسفا. السؤال المطروح هنا لماذا لا يزال النظر إلى الثقافة في الجزائر على أنها سليل الماضي وسجن حرية الفكر وقيود بوساطة السياسي والديني والسلطوي؟ هل يكمن المشكل في المثقف أم في الفضاء الثقافي؟ أم فيهما معا؟ أم لازلنا لم نفهم الثقافة بعد؟ يقول المفكر

²³. لكحل فيصل، الفضاء الثقافي في الجزائر " قراءة نقدية فلسفية"، جريدة الخبر، الإثنين 08 ديسمبر

الفرنسي أندري مالرو - Malraux. Andre "1976م" بأن "الثقافة هي دين القرن العشرين"، إن الثقافة بمعناها العميق هي ذاتها مفكرة في أفقها كـ "كينونة" مفتوحة على مستقبلنا المجهول/ الحدث، المعلوم / الحضور. نحن نعاني من جفاف فكري، ومعالجته تكون عن طريق فتح النوافذ أمام النقد، فنحن بأمس الحاجة إلى الجانب النقدي.

ونحن نستهدف أن تتغلغل الفلسفة في الواقع العملي حتى يمكن أن يحكم العقل العالم كما كان يستهدف هيغل وكل فيلسوف إنساني عظيم، وكما يقول الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط (1724 - 1807) لا تنحصر مهمة أستاذ الفلسفة في تعليم تلاميذته بعض الأفكار الفلسفية بل تنحصر في تعليمهم كيف يفكرون" ولا شك أن الشباب كما يقول هيغل (1834 - 1919) يحملون معهم آمال رفاقهم من الشيوخ وعلى هذه الآمال يعتمد تقدم العلم والعالم في وقت واحد²⁴.

العرب بحاجة فعليا إلى مشروع، لكن كن يؤتى ثماره فلا بد من أن يعمل بالتوازي مع سائر المشروعات الإقليمية بدافع من الرغبة في التكامل والتنافس وتفادي الصّراع.

²⁴ مجاهد عبد المنعم مجاهد، مدخل إلى الفلسفة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د ت، ط)،

ويتعين الوضع في أن يعتمد المشروع العربي على نهضة شاملة في جميع المجالات، مثل قطاعات التعليم، والبحث العلمي، والصناعة، والتجارة بشكل يمثل دعما كبيرا لهذا المشروع.

يجب أن يقوم المشروع العربي على مساهمات من أكبر قدر من المجتمع العربي، فالإستبداد يجب أن يختفي من المشروع العربي الجديد، لأنّ المشكل أنه ثمة مشاريع كثيرة غائبة ولم تطبق وقد طواها النسيان، حيث يقتضي المشروع الثقة بالنفس والطموح.

المطلوب هو صياغة مشروع عربي عصري يفهم لغة عصره، ولديه القدرة على فك شفرات التقدم الذي

إنّ التطلع إلى المستقبل لا يقاس بالتمدن والوسائل المادية والتكنولوجيا، وإنما يقاس بأبعاد أخلاقية إنسانية سامية، ترفع الإنسان إلى مكانته الحقيقية التي تميزه عن باقي الكائنات، ويكون ذلك بالفكر العقلي السليم.

* مستقبل الفلسفة مرهون بمستقبل العرب أنفسهم، وبالأخص موقوف على استعداداتهم لابتكار فلسفة جديدة، فلسفة المستقبل العربي ذاته، وإن كان الركود الفلسفي في أساسه أمر مشترك بين جميع الثقافات التي تعجز في فترة من الزمن عن اكتشاف مبدأ التجديد .

* لازلنا بحاجة إلى فلسفتنا المعبرة عن هويتنا وعن كينونتنا الجزائرية، فالجزائر ليست عاقر فقد أنجبت باحثين ومفكرين في داخلهم روح فلسفية .

فالفلسفة بيننا نعيشها ونتكلم بها لكن لا يعرف قيمتها إلا من مارسها وفهم دورها وعرف معانيها وتعمق فيها، حبنا للفلسفة فاق كل الحدود لأننا نتنفسها رغم كل ناقد لها، إننا لا نتصور حياة دون فلسفة، ولا نتصور مجتمعا يخلو من الفلسفة والتفلسف.

* يمكن أن ترتبط الفلسفة بحياتنا اليومية في البيت والشارع والسوق مع ذلك تبقى فلسفة.

تبقى الملتقيات والأيام الدراسية من ضمن المجالات التي تطبق فيها الفلسفة على أرض الواقع، فلسفة- قراءة- كتابة وذلك من خلال المناقشات وعرض المشاكل والانتقادات، وكل ذلك فلسفة فكيف لنا بعد ذلك أن نقول أين الفلسفة والتفلسف، ولماذا هي بعيدة عن المجتمع؟. لابد من إعادة الاعتبار للمثقف الحقيقي الحر والمسؤول، لأن هناك الكثير من أنصاف المثقفين والمفكرين الذين يكرسون أفكارهم وتصوراتهم من أجل الظفر بالسلطة والمناصب السياسية، غير أبهين بالدور الحقيقي الذي يجب أن تؤديه الثقافة في توجيه أمور المجتمع والسياسة والاقتصاد والتاريخ. لأن المثقف الجزائري يقترب أكثر فأكثر من السلطة لتلبية مصالحه الخاصة.

علينا أن نبحث عن المثقف الحقيقي لا المثقف الطفيلي أو المتناهي (العلامة البشير الإبراهيمي)، فالمثقف كالطبيب المعالج فهو يقوم بعملية فحص وتشخيص وفهم الحدث وتحليله ونقده. لان ما نشاهده اليوم هو "حالة بؤس النخبة والمثقفين" وهي حالة تعبر عن عقم فكري وفشل نضالي.

وفي هذا نجد "الدكتور حسن حنفي الذي يعرف الأزمة التي تعيشها الأمة العربية اليوم في غياب الحوار في حياتنا المعاصرة نتيجة لأننا لسنا أحرارا في تفكيرنا، ولأننا لانسلم بحق الآخر في الحرية والتفكير والإعتراف بحقه في إبداء الرأي" إنّ حالة الركود التي تعيشها المجتمعات العربية اليوم كلّ تعزى إلى عدم وجود حوار متبادل وذلك هو الآخر يرجع عدم وجود حرية الفكر التي تعتبر هي الأخرى أساس بناء الكيان العربي المستقل عن الآخر حتى لا نصبح تابعين لغيرنا بل مبدعين حتى لانصبح لصيقيين بهم أتم الإلتصاق بل منفصلين عنهم وهذا مايقودنا إلى الإستناد إلى قول شكيب أرسلان "لماذا تقدم غيرنا وتأخرنا نحن؟"

إن الواقع الفعلي والحقيقي لممارسة الفلسفة في الجزائر لا يمكنه الخروج والقفز خارج أسوار الجامعة وحتى الخروج ما وراء الجدران، أما الخوض فيها خارج الأطر الأكاديمية فهذا محذور لأن المجتمع الجزائري لم يتقبل بعد "الفلسفة" بالمقارنة مع تقبله بعض العلوم والأفكار الأخرى فالمجتمع الجزائري مازال ينظر إلى الفلسفة وعملية التفلسف على أنّها تهكّم وتلاعب بالعقل أو هو سفسطة، بل ما هو شائع هو القول المتداول بين اوساط الجزائريين: "تفلسف الحمار مات جوعا"، أو "الفلسفة لا تأكل خبزا"، أو "الفلسفة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"، أقوال عديدة وافتراءات باطلة في حق الفلسفة وهذا يعود إلى سوء الفهم والإستيعاب الصحيح لهذه الفلسفة وما تحمله من حكمة. وعن عدم الوعي وعن الجهل بالدور الفعّال الذي يمكنها إحرازها والمساهمة

الكبيرة التي يمكن أن تحققها بدفع عجلة التقدم بتنبية العقل وتلقيحه،
بالأفكار البناءة التي يمكن أن تساهم مساهمة إيجابية لا الأفكار الهدامة التي
تجمّد حركة الفكر أو يمكن أن تؤدي به إلى الانحراف عن المسار الصحيح.
الفلسفة بطبيعتها الإستشكالية والنقدية ترفض جميع الدوغماتيات المنحطة،
فهي تبعث ثقافة الفرح وليس البؤس، وإذا بعثت البؤس فالبؤس مدعاة
للتجديد والتغيير نحو الفرح، هي معادلة عكسية تبوح دائما نحو الأفضل، ما
زلنا في امنس الحاجة إلى دعم معرفي منهجي، نعم إذا غابت الفلسفة وروح
التفلسف غاب الشعور بالحاضر وتبلبلت المعرفة بالماضي وتلاشت فكرة
إستشراف المستقبل . إن الفكر بخير ومتوافر من خلال الهياكل التعليمية
والمراكز الثقافية، وكأن تواجد الفكر أضحى مرتبطا بتواجدها ليس المهم أن
نفكر داخل إطار الثنائيات ونخص بالذكر التراث والحداثة ، المهم الإنصات
لبعضنا.

الفلسفة إنصات لمشاكل الناس وهي وحدها تقاوم الوهم والتبعية، فلسفة
قابلة للتجديد في كل لحظة، وتصليح للعطب والعلل.

الإنصات لبعضها هو محاربة كل أشكال الإستبداد، التعالي، النرجسية،
الإفراط في العزلة الاجتماعية، الدوغمائية، فالأصوات الجارية أقلام مكتوبة،
حضور رغبة ملحة تتمثل في تدشين مرحلة جديدة من الكتابة الفلسفة.
علينا أن نؤثث الفلسفة بنصوص متنوعة وبأقلام مختلفة وفق التخصصية
الفكرية وبعدها نستدعي النقد كآخر مرحلة. " إذا الألوان لنصت لبعضنا "